بلاغة اقتران أساليب الاستفهام المتشابهة في سور الطواسيم والحواميم

معن توفيق دحام زينب سالم حميد
جامعة الموصل كلية الاداب قسم اللغة العربية
(قدم للنشر في 2021/1/25 ، قبل للنشر في 2021/3/3)

الملخص:

لطالما لفت انتباهي وأنا أتلو آيات القران الكريم أسلوبه المعجز، الذي كان وما يزال رمز البلاغة والفصاحة وانطلاقًا من هذه الحقيقة، أحببت أن أقف على جانب واحد من أساليب القرآن الكريم ألا وهو الاستفهام ولكن بصيغة الاقتران، واقتصرت على عينة من القران الكريم من سور الطواسيم والحواميم، وكان البحث تحت عنوان (بلاغة اقتران أساليب الاستفهام المتشابهة في سور الطواسيم والحواميم).

إذ اقتضت خطة البحث أن يقع على مبحثين: المبحث الأول كان بعنوان الاقتران الثنائي لأسلوب الاستفهام المتشابهة، وشمل أحد عشر موضعًا موزعًا بين سور (الشعراء، النحل، غافر، الزخرف)، أمَّا المبحث الثاني: فكان بعنوان الاقتران الثلاثي لأسلوب الاستفهام المتشابهة، وانفردت به سورة واحدة من سور الحواميم وهي سورة الجاثية وفي موضع واحد في قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [الجاثية: 23].

الكلمات المفتاحية: علم المعاني، البلاغة، أساليب الطلب

The Coupling of Structural Ordering Methods similar to the Order in Surat al-Tawasim and Al-Hawamim

Maen Tawfiq Daham Zainab Salem Hamid
University of Mosul, College of Arts, Department of Arabic Language

Abstract

I have always caught my attention while I recite the verses of the Holy
Qur'an, its miraculous style that was and still is the symbol of eloquence and eloquence, and based on this fact, I liked to stand on one side of the methods of the Holy Qur'an, which is the interrogation, but in the form of conjugation. The research was titled (Rhetoric of Syndication of Similar Interrogative Styles in Surat al-Tawasim and Hawamim).

where the research plan required that it fall into two topics: The first topic was titled the double conjugation of similar interrogative styles, as it included eleven places distributed between Suras (poets, bees, the forgiver, and the decoration), and the second topic: it was titled the triple conjugation of similar interrogative styles, and it was unique by Sura one of the wall Alhawwamam which al-jathiya and in one position in saying the Almighty: {Ofroit who took God desires and the bounty of God aware of and seal his hearing and his heart and make his vision blurred it guide him after God, do you not remember the} [Jaathiyah: 23].

key words: Science of meanings, rhetoric, methods of request

اقتران أسلوب الاستفهام

توطئة :

وردت الاقتران المتشابه الأسلوب الاستفهام في سور الطواسيم والحواميم في اثني عشر موضعًا، توزعت بين الاقتران الثنائي والاقتران الثلاثي؛ لذا قُسِّم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الاول : الاقتران الثنائي لأسلوب الاستفهام.

المطلب الثاني: الاقتران الثلاثي لأسلوب الاستفهام.

المطلب الأول: الاقتران الثنائي لأسلوب الاستفهام:

ورد الاقتران الثنائي لأسلوب الاستفهام في (أحد عشر) موضعًا موزعًا ما بين سور الشعراء، النمل وغافر والزخرف، وكما هو مبين في الجدول أدناه:

ت	الآية الكريمة	رقمها	السورة
.1	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	7	الشعراء
.2	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾	60	النمل
.3	﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	61	النمل
.4	﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	62	النمل
.5	﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	63	النمل
.6	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾	67	النمل
.7	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	84	النمل
.8	﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ	21	غافر

ت	الآية الكريمة	رقمها	السورة
	﴿ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾		
.9	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾	69	غافر
.10	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	82	غافر
.11	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾	87	الزخرف

ملاحظة ضبط الجداول والاعداد

ومما لوحظ أنَّه تكرر في سورة النمل اقتران همزة الاستفهام مع الهمزة بشكل أكثر ونتيجة لتشابه الأسلوب في أربع آيات متتاليات في سورة النمل؛ وقع الاختيار عليهم كنموذج للدراسة والتحليل، لأنَّها تُعَدُّ ظاهرة التكرار وهي ظاهرة أسلوبية برزت في الاقتران الثنائي لأسلوب الاستفهام؛ وذلك لأهمية الموضوع في الآيات القرآنية، فهي أول الآيات القرآنية التي سيقت مساق الكشف عن مظاهر التوحيد وألوهية الله ﷻ وهي بمثابة احتجاج ومناقشة ودافع للتأمل وأعمال الفكر في قدرة الله عز وجل[1] .

إنَّ التقابل الموجود في هذه الآيات القرآنية تُشَّكل عن طريق سلسلةٍ من الاستفهامات التي أغنتْ عن التصريح بالمفاضلة فقد واجهت المشركين بأسئلة مستمرة من واقع الكون الذي من حَولِهِم والذي يشاهدونه ويلمسونه، إذ جسَّد ذلك الاستفهام الإنكاري الذي يدل على نفي التسوية بين من يملك الربوبية ومن لا يملك منها شيئًا، وكذلك استناد الحجة في كل آية الى مظهر من مظاهر ألوهية الله سبحانه تعالى، وهذا أدى دور أساسي كدليل أيضًا، فضلًا عن أنَّ تقدير تمام الاستفهام أو الإجابة عنه بنحو : "كمن لا يقدر على شيء من ذلك"[2]، كما أنَّ اختِتَام هذه الآيات بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ هو استفهام إنكاري آخر مبني على الاستفهام الأول في قوله:

---

(1) ينظر: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل: محمد سعيد رمضان البوطي: 280/1 .

(2) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله : عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع: 1084/3 ، والآيات الكونية دراسة عقدية: عبد المجيد بن محمد الوعلان، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية اصول الدين ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، بإشراف:***** الرياض، 2012م: 87/1 .

(أمَّنْ) يدل على عدم صحة التسوية بين الله وغيره من الألوهية[1]، ويراد منه التوصل الى إثبات مقاصد القرآن العظمى، كالتوحيد والبعث والوحي[2].

تعددت طرق اقتران الاستفهام فتارة يكون بالاستفهام التقريري عن الخلق والخالق،" وهو الذي يرد في صورة عرض مقدمات أو قضايا مسلمة عند الخصم على صيغة الاستفهام ثم التدرج معه حتى يصل به للإقرار بالقضية المنكرة، وينقاد للحق ويسلم له" [3]، وتارة يكون الاستفهام عن انتظام الكون واتزانه[4]، وإلى غير ذلك[5]، والآيات القرآنية السابقة هذه من الآيات الكونية العلمية التي فيها إعجاز علمي فضلًا عن أنَّها إعجاز بلاغي، فلو تأملنا قليلًا فيها نجد علاقة واضحة بين فاتحة الآية الكريمة بقوله: (أمَّنْ)، مع حسن ختام الآية الكريمة الواحدة بقوله: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾، نجد هنالك علاقة مناسبة وهي سر من أسرار التعبير القرآني يكشف لنا عن نُظم الآيات الكريمات ما بين إبراز معنى عظمة الخالق فيما خلق ومعنى فَضله على خلقهِ، فهو يُفصِّل القول حول خلق السماوات بارتفاعِها وصفائِها وما فيها من كواكب نيرة والنجوم الزاهرة والافلاك الدائرة، فضلًا عن الارض وما فيها من جبال وسهول وأشجار وثمار، وكذلك الحيوانات على اختلاف أشكالِها وألوانِها كُلها تدل على قدرة الله تعالى[6]، وهي رَدٌّ على عَبَدَةِ الأوثان، فهو الخالق لأصول النِعم وفروعها، فكيف تَحسن عِبادة ما لا منفعة منه البَتَّة؟ [7]، والآيات القرآنية هذه هي حجاجٌ بطريقة الاستفهام الإنكاري على التوالي بقوله: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾ فقد وقعت في (خمس) آيات على التوالي، إلَّا أنَّ النكتَةَ البلاغية في حسن ختام الآيات الكريمات وتنوع الموضوعات، فخَتَم الأولى بقوله: ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾، أي: يشركون بالله تعالى[8]، ويميلون عن الحق عِلمًا عِلمًا أنَّهم يرونه (التوحيد)[9]، ثُمَّ اختتم الآية الثانية بقوله: ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، ثُمَّ اختَتَم اختَتَم الآية الثالثة بقوله: ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، ثُمَّ أختَتَم الآية الرابعة بقولة: ﴿ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ ثُمَّ انفردت الآية الخامسة بخاتمة تَشْتَمل على توالي أمرين متَتَابعين بقولة: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

---

(1) ينظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله : 3/ 1083 .

(2) ينظر: المصدر نفسه : 332/5 .

(3) منهج القرآن الكريم من دعوة المشركين إلى الاسلام: د. حمود بن احمد بن فرج الرحبلي: 433/1 .

(4) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: 484/19 .

(5) ينظر: التفسير الكبير: 336/2.

(6) ينظر: الكشاف : 201/6 ، و درة التنزيل وغرة التأويل : الخطيب الاسكافي: 979/1 .

(7) ينظر: مفاتيح الغيب : 562/24 .

(8) ينظر: تفسير الجلالين : 501/1 .

(9) ينظر: الكشاف : 376/3 .

فمِن جمالية النظم ينتقل بهذا الحجاج إلى أضرب متعددة فينقل من الآية الاولى إلى الثانية بضرب آخر أُريد به الانتقال إلى دليل كوني آخر متعلق بذكر خصائص الارض وسمائها الواضحة من حولهم وأمام أعينهم، وكأنه يقول: لنترك أمر السماوات وحديث المطر والإنبات إلى حقيقة أُخرى، من هذا الذي جعل لكم الارض قرارًا؟ [1]، والقرار : المستقر ويعني كل ما قد أودع أودع الله تعالى الارض من الخصائص التي تجعلها قارَّة بنفسها، وتجعل الناس متمكنين من القرار عليها، ويتعلق في ذلك العديد من الأمور منها صلابتها، وطبيعة الاثبات فيها ومدى بعد الشمس عنها ونظام الجاذبية ... الخ[2]، فنجد البلاغة في سياق الآيات تعرض ذلك في قوله: ﴿ ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ ﴾ وتحديدًا بقوله: وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي، والرواسي هي الجبال التي تمسكها وتمنها من الحركة، ثُمَّ أنَّ من عظمته سبحانه وتعالى جعل بين البحرين حاجزًا مانعًا من قدرته؛ لئلا يختلط الأُجاج بالعذب فيستفهم بعد ذلك بقوله: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ ﴾، فعبَّر الاستفهام فيها عن خصوصية المقدرة مقترنة بالله سبحانه وتعالى فالقدرة على خلق كل ذلك هي من خصائص المختص بالإلهيّة[3].

ثُمَّ ينتقل الى نوع آخر من الأمثلة وبأسلوب الاقتران يوظف المعنى، إذْ نجد حالة من حالات الإنسان ومنها هو يُذَكِّر الإنسان عن مَنْ يُجِيبَه ويُجيب المضطر وهي "الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجأ والاضطرار: افتعال منها، يقال : اضطره الى كذا"[4]، فهنالك من أحوجه من مرض أو أو فقر أو نازلة من نواز الدهر إلى إلجاء والتضرع والاقتراب من خالقِهِ، وقيل : هو الذي لا حول ولا قوة[5]، وقيل أيضًا: هو المذنب إذا استغفر[6]، لأنَّه يكشف الضر ويجعلهم خلفاء الأرض[7]؛ ولهذا كانوا إذا مسَّهم الضُرُّ دَعَوا الله مخلصين له الدين؛ لِعِلّمِهم أنَّه وحده المقتدر على رفعه وإزالته[8]، فإنَّه سبحانه وتعالى وعد بالاستجابة ولم يذكر أُن يستجيب في الحال، وتمام وتمام القول في شرائط الدعاء والإجابة مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ ﴾[غافر: 60][9].

---

(1) ينظر: الكشاف: 281/1 ، والجامع لأحكام القرآن: 222/13 .

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : 222/13 .

(3) ينظر: التفسير الكبير: 565/24 ، والجامع لأحكام القرآن: 222/13 .

(4) الكشاف : 376/3 .

(5) ينظر: الكشاف: 376/3 ، وجامع البيان في تأويل القرآن: 485/19 .

(6) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: 485/19 .

(7) ينظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي أبو اسحاق: 219/7 .

(8) ينظر: تيسير الكريم في تفسير كلام المنان: السعدي عبدالرحمن ناصر: 608/1 .

(9) ينظر: التفسير الكبير: 565/24 .

إنَّ تعداد الأدلة على قدرة الله سبحانه وتعالى ما هي إلَّا دليل على زيادة في تعدد خطئهم، وفضلًا عن الاقتران المتشابه بالاستفهام الإنكاري الذي فُهِمَ من قوله تعالى: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾، فنجد معاني أُخرى أيضًا وُجِدَتْ من خلال التعليق الذي جاء بعد الإنكار ومنه قوله تعالى: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾، ففيها معنى الحال من ضمير الخطاب في قوله تعالى: ويجعلكم خلفاء الارض، أي: فعل ذلك لكم وأنتم قلة تذكركم، فهذا معنى الحال الداخل لمعنى التعجب من أمر حالهم، واختار هذه اللفظة وعبر عن التذكر بـ (تذكرون)، وهي ضد النسيان وفيه استحضار المعلوم[1]، أي: قليلًا استحضاركم الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى، فيَهْتَدُوا بأنَّه الحقيق بأن لا تشركوا، والقليل هنا مُكَنًّى به عن المعدوم؛ لأنَّ التذكر المقصود معدوم منهم[2]، والكناية بالقليل عن المعدوم مستعملة في كلامهم، وهذه الكناية تلميحٌ[3]، وتعريض، أي: إنْ كنتم تذكرون فإنَّ تذكرتم القليل، وأصل تذكرون: تتذكرون فيها إدغام للتاء وهو إدغام سماعي[4] .

ثُمَّ ينتقل بعدها الحديث عن دلائل التصريف في أموال المسافرين منهم في البر والبحر فذكر الهداية في ظلمات الليل والبر والبحر، وإضافة الظلمات (إلى البر والبحر) على معنى (في) ويكون الهدي بشير النجوم حين ذكرت أيضًا في سورة الانعام في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام: 97]، وذكر أيضًا فوائد الرياح في إثارة السحاب الذي به المطر وهو المغني برحمته، ولقد تقدم ذكرها في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ [الفرقان: 48]، وكذلك في سورة الاعراف بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الاعراف: 57]، إنَّ هذا التكرار يراد منه التنبيه والتذكير وفيه تنْزِيهُ الله عز وجل عن إشراكهم معه إلهة، وكان سبب ذلك أنَّ خاتمة الاستدلال عليهم بما لا ينازعون في أنَّه من تصرف الله سبحانه وتعالى، فكانت خاتمة هذه الآية تصديقًا بما أشارت إليه التنزيلات السابقة[5] .

واذا عدنا إلى سر من أسرار التعبير القرآني الكائن في تكرار اختياره لاقتران الاستفهام بلفظ (أمن) وهي منقطعة بمعنى (بل)، التي تقييد الإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض، لكن مع مراعاة وجود معنى الاستفهام؛ وذلك لأن (أم) لا تقارن معنى الاستفهام وفي ذلك انفصال الاستفهام الحقيقي التهكمي إلى الاستفهام التقديري الذي اشرنا اليه مُسبقًا، فضلًا عن أنَّنا نجد

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير : 16/20 ، و التفسير الكبير : 566/24 .

(2) ينظر: التحرير والتنوير : 16/20 .

(3) "التلميح : هو الاشارة في فحوى الكلام الى قصة او سفر من غير تصدع به"، ينظر: التوفيق على مهمات مهمات التعاريف : محمد عبدالرؤوف المناوي: 203/1 ، و كتاب الكليات ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: 301/1 .

(4) ينظر: التحرير والتنوير : 16/20 ، والتفسير الكبير : 566/24 .

(5) ينظر: التحرير والتنوير :17/20 .

ذلك في المقدمة الاجمالية في قوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [النمل: 59] إلى الغرض المقصود، وهو الاستدلال، فكان تقدير الله سبحانه وتعالى للخيرات والمنافع من آثار رحمته وآثار قدرته استدلالًا مقترنًا بالامتنان، فالله سبحانه وتعالى ذكَّرهم بالآيات التي فيها قدرته سبحانه تعالى، فهذا امتنان بنعمه وبسابق رحمته ونجده سبحانه وتعالى عددها في مواضع أخر منها بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الروم: 40] (1).

فنجد في الآية الكريمة تعجيز لهم وفيها منى الاختصاص بقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾[النمل:60] ومعنى الكينونة : الابتغاء(2)، وكرر الاستفهام بقوله تعالى: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾[النمل:60] وهو مردود على قوله: "أمن خلق"، والمعنى: أمَّن خلق، والمعنى: أتجعلون الهًا مع الله أو تتخذون إلهًا مع الله (3)، إنَّ الاستفهامات التي جاءت بـ (أمَّن) ماهي إلا تقريرات توبيخية(4)، فلمَّا كان الكلام مقرونًا بالأدلة الظاهرة صار وكأنهم لم يبقَ لهم عذر في الإنكار(5)، وهذا ما لمس إليه اقتران الاستفهام .

ومن مواضع الاقتران الثنائي لأسلوب الاستفهام بيان أقوال الكافرين كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ [النمل: 67]، فقد تكرر مثل هكذا استفهام في القرآن الكريم ليصل إلى أحد عشر موضعًا(6)، في تسع سور من سور القرآن الكريم(7)، إنَّ هذه الآية الكريمة جاءت في سياق استبعاد الكفار البعث وإنكاره، إذْ جسدت الشك فيه(8)، وهي حكاية حكاية عن قول المشركين (مشركوا مكة) وذلك بأسلوب اقتران الاستفهام، إذ تكرر في (أءذا) و(أئنّا) وفي "انكار بعث وانكار جحود عقيب جحود ودليل على كفرٍ مؤكد مبالغ فيه"(9)، وهو الغرض المعتمد بالذكر والمعنى: أنخرج من القبور ونحن ترابًا، وتحقيق هذا المعنى من خلال

---

(1) ينظر: فتح القدير: 169/4 .

(2) ينظر: الكشاف : 376/3 .

(3) ينظر: معاني القرآن : أبو زكريا بن زياد بن عبدالله بن منظور الفراء: 297/2 .

(4) ينظر: تفسير الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن : أبو زيد عبدالرحمن بن معلوف الثعالبي: 255/4 .

(5) ينظر: اللباب في علوم الكتاب : 189/15 .

(6) سورة [الرعد الآية: 5] موضعان في [الاسراء :49، 98]، [المؤمنون: 82]، [النمل:67] ، [العنكبوت: 29، 29، 28] ، [السجدة: 10] [الثافات:16، 53] [الواقعة: 47] ، [النازعات: 10] .

(7) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي شهاب الدين الشهيد: 69/1 .

(8) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني :محمد محمد ابو موسى: 368/1 .

(9) تفسير النسفي ابو البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفي : 178/3.

تكرار توالٍ في الاستفهام، والتتابع الثنائي لهذا الأسلوب في الإنكار وتقييد الإنكار بوقت كونهم ترابًا؛ لتقويته وتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له وإلا لكان المعنى أنَّهم مُنكِرون للحياة بعد الموت مطلقًا، أي: سواء كانوا ترابًا أو لا [1]. إنَّ جدال الكفار في قضية الآخرة والبعث بعد الموت جاء على طريق إظهار العجب والإنكار على أساس الاستغراب والاستبعاد وجسَّد ذلك الاقتران الثنائي للاستفهام، ولكن المبالغة فيه جاءت عن طريق تَسْليطهم الضوء على مسألة مهمة وهي قوله: (كنا ترابًا)، وعطف عليها (وآباؤنا) هذا مما زاد في الاعتناء والقصد والمبالغة في الانكار والاستغراب والتعجب.

إنَّ إيصال المعنى المطلوب بهذا الشكل من الدقة يتطلب دقة في اختيار الألفاظ فنجد التعبير القرآني يفتَتِح الآية الكريمة بالعطف بقوله: (وقال) وكان هذا مناسبًا؛ لأنَّها غايرت الكلام السابق لها، وذلك في وصف الزاعمين علم الغيب بذكر أنَّ البعث مستحيل الوقوع؛ ولذلك فقد أُسند القول إلى جميع الذين كفروا دون خصوص فعبَّر عنهم باسم الموصول أيماءً إلى علة قولهم هذه المقالة وهي ما أفادته الصلة في كونهم كافرين، هذا وجاء بعدها بالإنكار لصيغة الاستفهام لتجهيل معتقد ذلك وتعجيزه عن الجواب، وكان التأكيد بـ(إنَّ) وأراد بالتأكيد التهكم[2]، ونجد العامل العامل في (إذا) محذوف فيدل عليه (لمخرجون)، وتقدير ذلك : نبعث ونخرجُ [3]، ولا يجوز أنْ يعمل فيها (مخرجون) لثلاث موانع : إن ولام الابتداء، ويلاحظ في التقديم دليل على أنَّ المقدّم المغني المعتمد بالذكر وجاء الكلام لأجله[4]، وجسَّد ذلك الاقتران الحاصل بالاستفهام مغير عن إنكار البعث في القبور[5].

وفضلًا عن كل المعاني السابقة التي جسَّدها الاقتران الحاصل في أسلوب الاستفهام من إنكار وتكذيب جاء هذا كله على سبيل الاستبعاد والاستنكار والاستهزاء[6]، أحكم هذا اقتران همزتين متتاليتين، وجاء ذلك مع "استحكام أسباب العلم والتمكين من المعرفة بما قبل، وهو اختصاصه تعالى بعلم الغيب إنَّ العباد لا علم لهم بشيئ بذلك"[7]، ويطغى على الآية التفكير الحسِّي الذي يؤمنون فيه بالمادة وحدها ما تعين حسّيَن في زعمهم الباطل، والمانع الأول هو: الموت، فهم

---

(1) ينظر: تفسير روح البيان : اسماعيل بن مصطفى الاستنبولي الحنفي الحلواني: 6/ 163 ، و القرآن العظيم العظيم المنسوب للإمام الطبري ، 6/ 65 .

(2) ينظر: التحرير والتنوير : 24/20 ، والأزمنة والأمكنة: أبو علي أحمد بن المرزوقي الأصفهاني: 62/1 .

(3) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي: 638/8 .

(4) ينظر: الدر المصون في علوم المكنون : 638/8 .

(5) ينظر: تفسير الجلالين : 1/ 502 ، وفتح البيان في مقاصد القرآن : 65/10 .

(6) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي: 212/4 .

(7) البحر المحيط في تفسير القرآن المجيد: 212/4.

يرون أنَّه مانع حسي كيف يعود الميت حيًا وهذا غير مألوف، والثاني: هو أنَّهم يصيرون ترابًا، وكان بمعنى: صار، وفيه معنى تحللت أجسامهم وابتعدت عن الحياة [1].

ومن أسرار التعبير القرآني وبلاغته اقتران أسلوب الاستفهام الثنائي وتحديدًا اقتران همزة الاستفهام مع اسم الاستفهام (كيف) في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾[غافر: 21] .

أكثرَ القرآن الكريم من عرضِ الحوادث التاريخية في الامم الماضية لِمَا فيها من استعادة واسترجاع الذي فيه تأثير في النفوس[2]، إنَّ هذه الآيات اهتمت بالحديث عن مصارع الغابرين لكن بأسلوب يغرس الخوف في القلوب، ويبعثُ على التأمل والتدبُّر، فضلًا عن أنَّها قبلَ كلِّ ذلك لها أسلوبها البليغ المؤثر في إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل، وتثبيت المؤمن وزلزلة الكافر، كما أنها وجّهَت الأنظار الى تكذيب الأمم الماضية لرسلهم وكيف كانت عاقبتهم والغاية من ذلك الموعظة، فعرض ذلك بأسلوب القصص الفني مع توافر مقومات القصة الفنية في تمهيد وعرض للأحداث وعقدة وحل للعقدة ثم الخاتمة والنهاية، وما يسمى بالأسلوب التمثيلي دون التركيز على الشخصيات، فالتعبير القرآني يختار منها ما يخدم الفكرة الرئيسة ويختار الجو الملائم لتحقيق الهدف[3]، وحينما نتأمل ما جاء في سورة غافر من قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون نجدُ ما يلائم يلائم عرض السورة وهو معالجة قضية الحق والباطل، فبدأت أولًا بالتمهيد بقوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، فعندها تتهيأ الأذهان بهذا التمهيد للقصة التي جاءت بمثابة المثال التطبيقي[4]، ففي الآية " انتقال من إنذراهم بعذاب الأخرة على كفرهم إلى موعِظَتِهم وتحذيرهم من من أنْ يَحِلَّ بِهم عذاب الدنيا قبل الآخرة"[5]، والذي ساعد في إعطاء هذا المعنى هو اقتران أسلوب الاستفهام الثنائي والذي تقدَّمت بِهِ الهمزة وهي حرف استفهام إنكاري جاء معنى التخويف مستأنفًا بحرف الواو[6]، وقيل في "أولم يسيروا": الواو للتأكيد والتقرير[7]، إنَّ اقتران الاستفهام مع مع النفي أفاد التقرير وهو إثبات المستفهم عنه وهو من خصائص الاستفهام المنفي ب(لم، ليس،

---

(1) ينظر: زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد: 5478/10 .

(2) ينظر: من بلاغة القرآن : 212/1 .

(3) ينظر: سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية: عبد القادر فتحي علوش الحمداني(أطروحة دكتوراه مقدمة إلى إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد فتحي رمضان، 2003م) : 139.

(4) ينظر: علوم القرآن الكريم : نور الدين عنتر الحلبي: 252/1 .

(5) التحرير والتنوير : 119/24 ، و ينظر: تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي: 58/24 .

(6) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم : محمود بن عبدالرحيم صافي: 235/24 ، و إعراب القرآن الكريم: الكريم: أحمد عبد الدعاس – أحمد محمد حميدان ، إسماعيل محمود القاسم: 53/2 .

(7) ينظر: بصائر ذوي التميز : 147/5 .

لمَّا)[1]، فيكون الاستفهام المستخدم تقديري، وهو الشائع في مثله من الاستفهام الداخل على نفي الماضي بحرف (لم)، وجاء التقدير موجهًا للذين ساروا من قريش ونظروا آثار الأمم الذين أبادهم الله سبحانه وتعالى جراء تكذيبهم رسلهم، وكان ذلك في نواديهم ومجالسهم، فصار معلومًا للجميع، فهذا الاعتبار أسند الفعل المقرر به إلى ضمير الجمع على الجملة[2]، واستخدم العطف في الفعل فينظروا، أي: فيعتبروا، وفيها نظرةَ إعتبارٍ، وناسب الفعل (ينظروا) الفعل (يسيروا)؛ وذلك لأنَّ الفعل السير يكون سببًا في النظر كما هو شأن أرباب البصائر الذين يزعمون بأنَّهم أعلاهم[3]، ولم يناسب السير النظر والتأمل فقط، لا بل ناسب البصيرة والالتقاط لذا قال بعدها: (فينظروا).

ومن بلاغة التعبير القرآني ما جاء في حقيقة همزة الاستفهام أنْ دخلت على الكلام ولا واو فيه، وفي هذه الآية الكريمة جاءت الواو بعدها، والفرق بين الحالتين كبير، فالهمزة وحدها للإنكار وأما مع الواو ففيها إشارة خفية إلى قبح الفعل، وأنَّه صار بمنزلة فعلين قبيحين وقد يكون حرف العطف (الواو) أوقد يكون (الفاء)[4]، والفرق بينهما أنَّ (الواو) تفيد التغاير فتعطي معنى الإنكار الإنكار الشديد، أمَّا (الفاء) فإنَّها تفيد التعاقب فمعنى الآية في هذا النمط تكرار الأدلة فكأن السير دليل والنظر دليل آخر، فنجد أنَّ "كل موضع تقدم في القرآن الكريم في قوله تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض.... "فإنَّه في موضع يقتضي الأول وقوع ما بعده بالفاء، وكل موضع تقدم في القرآن الكريم في قوله تعالى:" أولم يسيروا ....."، فإنَّه من المواضع التي لا تقتضي الدعاء إلى السير والحثّ على الاعتبار، فيكون ذلك مؤديًا إليه، وإنَّما يكون بالواو عطف جملة على جملة، وإن كانت الثانية أجنبية عن الأولى"[5]، وهذه الآية الكريمة " حثَّ الله سبحانه وتعالى على التفكير والتدبير فيما يدل على توحيده في خلق السماوات والأرض، ثُمَّ في أحوال القرون الخالية والأمم الماضية"[6]، والمعنى:" أم تسأل فتخبرك الرسوم؟"[7]، لاشكَّ أنَّ في الأرض مشاهد وآثار لعل من من أشدها أثر في النفس والحس، تللك هي الرسوم الدوارس والربوع الخوالي وما تخيله للحس من صور الحياة الغابرة، فهي مشاهد للعين في الظاهر وللنفس في الضمير، فالقرآن الكريم يوجه إليها حاسة النظر ثُمَّ يرد الخيال إلى الحياة الغابرة فيها، وهذا يتحقق ببلاغة الاستفهام فالنظر هنا

---

(1) ينظر معاني النحو:201/4.

(2) ينظر: التحرير والتنوير : 119/24 ، و بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: 202/3 .

(3) ينظر: نظم الدر : 44/17 .

(4) التفسير الكبير:155/28.

(5) درة التنزيل وغرة التأويل في تبيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: 342.

(6) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبري:296/4.

(7) روح المعاني:6/24.

ما هو إلا نظر عين يؤدي إلى الاعتبار؛ وذلك لأنَّ قريشًا كانوا يمرون في أسفارهم إلى الشام على ديار ثمود ولوط فضلًا عن أسفارهم إلى اليمن على ديار عاد[1].

ومن أسرار اقتران أسلوب الاستفهام(كيف) مع غاية الاستفهام الأول (أو لم يسيروا) بيان غاية السير والنظر هي العاقبة لمن سبقهم، وهلاك الظالمين، فنجد النظم القرآني قد قرن اسم الاستفهام (كيف) الكائن في محل نصب خبر لَكان[2]، ولمَّا كان المنظور فيها المُعتَبَر بها شديد الغرابة نَبَّهَهُ عليها بقوله (كيف)[3]، فالاقتران هنا جاء ليطابق سياق الآية الكريمة فذكر آخر أمرهم بأن أخذهم الله تعالى بذنوبهم وعاقبهم ثم علَّل ذلك بأنَّهم ارتكبوا الذنوبَ مع علمهم بكل ذلك فقد كانت تأتيهم الرسل بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ومع هذا كفروا وجحدوا فأهلكهم الله تعالى ودمَّرهم[4]، وأكَّد الحكم بضميرِ الفصلِ (هم) بقوله تعالى: كانوا هم، والمقصود: الظالمين كفار قريش، وليس المراد به قصر المُسنَد على المُسنَد إليه[5]، فضلًا عن اقتران الاستفهام التقريري باستخدام الهمزة مع الاستفهام بـ (كيف) الذي أراد به الإنذار والتخويف، كما أعطى الاقتران معنى التحذير والتذكير وبَثُّ الموعظة.

إنَّ الاستفهام الحاصل بالأداة (كيف) علق النظر (ينظروا)عن معموله فكأنه قال: فينظروا، ثُمَّ استؤنف فقال: كيف كان عاقبة الذين من قبلهم[6]، ومن ثَمَّ أعقب ذلك بقوله:" وكانوا أشدُّ منهم قوة وإثارًا....."؛ لأنَّ الإنسان يعتمد على ثلاثة أشياء: قوة جسمية وقوة مالية، وقوة ظهرية، فبين للسامعين أن السابقين كانت أموالهم أكثر منهم، إذ كانت لديه الحراثة وأنتم لا حراثة لكم وأبنية رفيعة ومع ذلك أهلكوا لمَّا كذبوا رسلهم فكيف بكم؟[7].

فضلًا عن ذلك نجد أسلوب الآية القرآنية في الدعوة إلى النظر في عاقبة الكافرين في الأمم السابقة فقد جاءت هذه الدعوة على سبيل الاقتران أو بلاغة ما يعرف ب(تراسل الحواس) "وهو من قوانين التداعي لوجود حالتين نفسيتين معًا في الشعور تُذكِّر إحداهما بالأخرى [....] فالترابط هو الطريقة الوحيدة لِتَذكُّرِ أي شيئ مهما كان، والتَذَكّر سبيلٌ لتحريك العقل، وإذا تحرك العقل

---

(1) ينظر: تراكيب أبنية الجذور (بصر. رأى. نظر) في القرآن الكريم دراسة دلالية: عزة عدنان أحمد غزت،(رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب جامعة الموصل، بإشراف: الأستاذ المساعد الدكتور عماد عبد يحيى،2001م): 170

(2) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي:435/24.

(3) ينظر: نظم الدرر: 44/17.

(4) ينظر تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير:138/7، وتفسير الجلالين: 620/1.

(5) ينظر: التحرير والتنوير : 24/ 119 .

(6) ينظر: المصدر نفسه:56/21.

(7) ينظر: التفسير الكبير:10/25، وتراكيب أبنية الجذور(بصر، رأى، نظر) في القرآن الكريم دراسة دلالية: عزة عدنان أحمد عزت، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور عماد عبد يحيى، جامعة الموصل، 2001م: 170-171.

بالنظرِ أو بالقياس، أو الاستقراء فقد يتحرك القلب بالإيمان والوجدان باليقين "[1]، فَعَمَد القرآن الكريم على استخدام الفعل (نظر)، فالنظر إلى عاقبة البائدة يُورِث التفكُّر وأخذ العبرة وتغيير مسار الحياة[2].

ولهذه الآية الكريمة آية أخرى شبيه بها في اقتران الاستفهام المنفي مع اقترانها بالاستفهام بـ(كيف)، كما في قوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر:82]، فَمِن الإعجاز القرآني بلاغة التكرار في ذِكرِ أخبار الأمم المكذبة للرسل عن طريق تكرار الاقتران الثنائي للاستفهام (الهمزة + كيف) ولكن المقترن بالنفي بـ(لم)، وهو استفهام مجازي مراد منه التقرير، إذ جاءت هذه الآية الكريمة بعد ذكر النعم الإلهية، لكن في هذه الآية الكريمة يستخدم القرآن الكريم الفاء بدلًا من الواو مخالفة سابقاتها بذلك فجاء الاستفهام بقولة: (أفلم)؛ وذلك لأنَّ آياتها معطوفة بالفاء للتفريع لوقوعها بعد ما يصلح لأن يُفَرَع عنه إنكار عدم النظر في عاقبة الذين من قبلهم[3]، واستخدم القرآن الكريم ألفاظ ساعدت على إعطاء معنى الإنكار بدقة كبيرة[4]، كبيرة[4]، فجاءت لفظة (السير) لِتُعبر عن السير المستفهم عنه بالإنكار ولم يقل: (تمشوا) مثلًا؛ وذلك لأنَّ السير هنا الامتداد ويأتي في القرآن الكريم إمَّا لمسافة طويلة لغرض التجارة و إمَّا لغرض العبرة والاتعاظ وفي الآية الكريمة جاءت للعبرة والاتعاظ، فناسب ذكر السير الذي تحصَّل منه آيات ودلائل على وجود الله عزَّ وجلَّ ووحدانيته قوله قبل ذلك: " ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم "، وفي ذلك إيماء إلى حاجة الإنسان في كل زمان ومكان إلى التَدَبُرِ في دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى؛ ليكون صدره عامرا باليقين الثابت ؛ ولذلك نجد أنَّ التعبير القرآني انتقل من ذكر النِعَم وانتقل إلى الأنعام والفلك إلى ذكر السير في الأرض للنظر في دلائل القدرة والتي فيها عاقبة الأمم السابقة من الكافرين[5]، أمَّا المشي فهو مجرد الانتقال وليس بالضرورة توجيه إلى هدف محدد كما في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [6]، وهذا مما يشير إلى دقة التعبير القرآني في تصوير مَشّهد من مشاهد القصة القرآنية .

---

(1) سيكلوجية القصة في القرآن: د. التهامي نقرة: 467.

(2) سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية: عبد القادر عبد الله فتحي علوش الحمداني،(أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد فتحي رمضان، 2003م): 139.

(3) ينظر: التحرير والتنوير:24/219-220.

(4) ينظر: المصدر نفسه: الصفحة نفسها، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: علي بن نايف: 360/1.

(5) ينظر: سور الحواميم –دراسة بلاغية تحليلية–: عبد القادر عبد الله فتحي علوش الحمداني، (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد فتحي رمضان، 2003م): 142.

(6) ينظر: لمسات بيانية: د.فاضل صالح السامرائي: 436/1 .

وفضلًا عن ذلك نجد أنَّ لفظ (السير) جاءت كدليل أو ليبرز دلائل وعظمة ووجود الله تعالى ووحدانيته وكذلك ليناسب أسلوب الاستفهام المنفي بقوله تعالى: (أفلم) معنى الإنكار والتوبيخ وكِلَاهما متصل بقوله تعالى : ﴿ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴾ [غافر: 8]، فناسب الانتقال إلى التذكير بعبرة آثار الأمم التي استأصلها الله تعالى لمَّا كذَّبت رُسُلهُ وجَحدت آياته ونعمه[1]، فكان تكرار الإنكار بقوله تعالى: (أولم يسيروا) (فينظروا كيف) انتقالًا عقب آيات الإنذار والتهديد، وكان هذا انتقالًا عقب آيات الامتنان والاستدلال وفيها تذكير وتهديد و وعديد لقريش[2]، والمعنى: أنَّ هؤلاء الكفار حصل منهم الكِبْر العظيم في صدورهم، وكان هذا السبب في طلب الرياسة والتقديم على الغير في المال والجاه وفي ترك الحق و بيع الآخرة بالدنيا، وهي طريقة فاسدة فجاءت هذه الآية الكريمة كمحاجة لهم[3]، واستخدم للمحاججة أسلوب الاستفهام بداية بالهمزة وهي وسيلة للتعبير عن هذا المعنى فجاءت للاستفهام التوبيخي مستأنفة[4]، وجملة فينظروا معطوفة على الاستئناف[5]، وأجاز بعضهم في قوله تعالى:﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم ﴾ أنْ تكونَ ما نافية أو استفهامية بمعنى النفي، أي: لم ينفعهم أو أي شيء أغنى عنهم كَسْبهم وهذا مجاز[6].

إنَّ أسلوب الاقتران الحاصل في الآية الكريمة بين أساليب الطلب المتشابهة الكائن بين أسلوب الاستفهام المنفي مع (كيف) المقترن مع فعل النظر شمل عن معاني التعريف بهؤلاء (مشركوا مكة) فضلًا عن الأثر الذي يُحدثه في نفوس المخاطَبين أمثال أولئك الغابرين، فكان هذا توبيخا لهم وذُلًا[7].

يتضح من خلال الآيتين السابقتين أن بلاغة القرآن الكريم في استخدام اقتران الاستفهام قوله تعالى:(أولم يسيروا) مع (كيف) في الآية الأولى، وفي الآية الثانية (أفلم يسيروا) مع (كيف)

---

(1) التحرير والتنوير: 219/24 .

(2) ينظر: التحرير والتنوير : 219/24، و المفصل في موضوعات سور القرآن جمع واعداد: علي بن نايف الشحود: 1/ 991 .

(3) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني: 17/ 92، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي 65/5 ، والتفسير الكبير : 27/ 534 .

(4) ينظر: الجدول في اعراب القرآن ، 26 / 214 .

(5) ينظر: المجتبى في فضل اعراب القرآن الكريم : أ.د. أحمد بن محمد الخراط 1/ 88 .

(6) اللباب في علوم الكتاب : 17/ 92 ، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 283/8 ، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي: 123/4 ، وينظر: التفسير الكبير: 27/ 534 ، وينظر: بيان المعاني : 3/ 602 .

(7) ينظر: سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية: عبد القادر عبد الله فتحي علوش الحمداني، (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف: الأستاذ المساعد الدكتور أحمد فتحي رمضان، 2003م): 142.

أيضًا ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير القرآني فيكون وسيلة للإرشاد والإيمان، فهذه غاية القرآن الكريم، فالتعبير القرآني يختار من الأساليب ما يخدم الفكرة الرئيسة ويختار ما يناسب سياق الآية الكريمة ليحقق الهدف على وفقِ مقتضى حال المخاطبين.

ومن بلاغة التعبير القرآني ومناسبة الاقتران الثنائي للاستفهام بين همزة الاستفهام وأسم الاستفهام (أنى) للسياق، وتحديدًا سياق الحجاج على التوحيد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ [غافر: 69] .

إنَّ بناء المعنى العام للآية الكريمة قائمٌ على إبطالِ جَدَل الذين يجادلون في آيات الله جدل التكذيب، ولقد تقدم ذكر ذلك (الجدل) في أول السورة الكريمة، إذ قال: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: 4]، فضلًا عن أنَّه تكرر ذكر الجدل لخمس مرات في السورة ككل[1]، ففي كل مرة يذكر فيها المجادلة يحمل معنى معين، فمرةً يحمل إلى معنى البعث، ومرةً أخرى إلى التوحيد، وفيه تأكيدًا واهتمامًا بشأن ذلك[2]، ومن خلال هذا التكرار نلاحظ أنَّ التعبير القرآني قد نبَّه القضية – قضية إبطال جدالهم– فبلاغة التكرار هذه جاءت للتنبيه والاهتمام، وجاء ذلك إيماءً إلى أنَّ الباعث لهم على المجادلة ما اشتمل عليه القرآن الكريم من أبطال الشرك[3].

ونجد بلاغة وعظمة التركيب في النظم القرآني أنْ ابتدأت بأسلوب الاستفهام المنفي بقوله تعالى:(ألم ترَ)؛ استئنافًا ليناسب معنى التعجب[4]، وهو ترتيب مكون من همزة الاستفهام وحرف وحرف النفي، والاستفهام إذا دخل على النفي صار إيجابًا فلا يبقى الاستفهام ولا النفي في المعنى[5]، والمراد منه: " حصول الإقرار بالفعل؛ ليكون التقرير على نفيه مُحرِّضًا للمخاطب على الاعتراف به بناءً على أنَّه لا يرضى أن يكون ممكن يجهله"[6]؛ ولذلك يجاب عنه بـ(بلى)[7]، واستعمل العرب مثل هذا الاستفهام للتعبير عن معنيين[8]:

الأول: السؤال عن الرؤية البصرية أو القلبية.

---

(1) ينظر: [سورة غافر الآية: 4–5، 35، 56، 69] .

(2) ينظر: روح المعاني:327/2، وفتح البيان في مقاصد القرآن: 211/2.

(3) ينظر: التحرير والتنوير: 200/24 ، وتفسير الجلالين : 1/ 627 .

(4) ينظر: التحرير والتنوير:200/24، واللباب في علوم القرآن: 81/17.

(5) ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري: 101/1.

(6) ينظر: التحرير والتنوير: 208/3 و 71/5.

(7) ينظر: معاني النحو: 235/4.

(8) ينظر: المصدر نفسه: 340/1.

الثاني: بمعنى ألم تعلم؟[1]، وألم ينته علمك[2]، وفيه حثٌ للنظر والاعتبار[3]، فضلًا عن أنَّه يفيد يفيد التعجب في الأمر العظيم، وهذا ما أفاده الأول في الآية الكريمة، فهو استئناف ناسب معنى التعجب؛ لتعجب المخاطِب (وهو الله سبحانه وتعالى)[4] من أحوال المجادلين في آيات الله تعالى، وكان هذا في حال انصرافهم عن التصديق، وبعد تلك الدلائل الواضحة، وجاء الاستفهام مقترنًا بالنفي؛ ليعطي معنى التقرير على الإثبات، ومثله كمثل قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: 260]، ودخل الاستفهام التقريري في معنى الذم، فذمَّ الله سبحانه وتعالى الذين أنكروا آيات الله تعالى، فضلًا عن ذلك أنَّ هذا الأسلوب (ألم ترَ) يستعمل في التنبيه والتذكير، فهو من أقسام الأمر، بمعنى أنظر[5]،وتعديته بحرف الجر (إلى)[6]، فتفيد الرؤية البصرية والقلبية[7]، ولم يحقق الاستفهام ذلك المعنى وحده ولكن تحقق ذلك بفعل اقتران الاستفهام بـ(ألم) مع الاستفهام بـ(أنَّى) الذي أفاد معنى الحال[8]، فجاءت بمعنى كيف وهي مستعملة استعمال مجازي يراد منه التعجب أيضًا[9]، أيضًا[9]، والمعنى:" ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله "[10]، تدبَّر للتعجب عن أحوالهم الشنيعة وآرائهم الدنيئة، وهي بمثابة تمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن الكريم وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك[11]، فهم يَصْرفون عن الحق مع قيام الأدلة[12]، فكيف يُصرَفون عن دين الحق[13]، والعلاقة الرابطة بين كل ما تقدم شكَّل معنى الآية العام المراد به احتجاج المشركين على آيات التوحيد، وأنَّ المراد من اقتران الاستفهام بالاستفهام إنما هو لمناسبة بين الاستفهامين، الأول: (الهمزة)، والثاني: (أنى) أمَّا الأول فالمراد منه إظهار قضية جدلهم والعناية بها وتوضيحها مع ذمِّهم بصفة الجدل، وعلاقة الاستفهام الأول بالاستفهام الثاني

---

(1) ينظر: مجاز القرآن: أبو عبيدة: 129/1.

(2) ينظر: تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري:499.

(3) ينظر: تفسير غريب القرآن 124.

(4) ينظر: فتح القدير: 574/4، وصفوة التفاسير: 102/3.

(5) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي: 42/2.

(6) ينظر: التحرير والتنوير: 208/3 و 71/5.

(7) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني: 189.

(8) ينظر: اللباب في علوم القرآن:17/ 81.

(9) ينظر: التحرير والتنوير: 200/24، وينظر: تفسير الجلالين: 627/1.

(10) تفسير ابن كثير: 157/7.

(11) ينظر: روح المعاني : 327/12، وفتح البيان في مقاصد القرآن: 211/12، و التحرير والتنوير: 200/24.

(12) ينظر: فتح القدير:574/4.

(13) ينظر: بحر العلوم السمرقندي: 213/3.

كون الثاني جاء ليؤكِّد الأول وليبالغ وليزيد في قضية ذَمّ صفة الجدل فيهم فجاء مناسبًا في استخدام الاستفهام بصيغة الاقتران.

وجاء الاستفهام الأول بقوله تعالى:(ألم ترَ الى الذين...) استئنافًا ليناسب معنى التعجب[1]، وكان هذا في حال انصرافهم عن التصديق وبعد تلك الدلائل الواضحة، برزت ظاهرة العدول في التعبير القرآني، إذ عدل عن استخدام الاستفهام بالأداة (كيف) وفضَّل أداة أخرى فقال: (أنَّى)، والعرض من ذلك توسّيع المعنى وزيادته، والفرق بين الأداتين (أنَّى، كيف): أن (أنَّى) فيها سعة في أداء المعنى فضلًا عن قوتها في الاستفهام[2]، والعلامة الرابطة بين كل ما تقدم شكّل معنى الآية العام المراد به احتجاج المشركين على آيات التوحيد[3]، وأنَّ المراد من اقتران الاستفهام بالاستفهام إنَّما هو لمناسبة بين الاستفهام الاول (الهمزة) والثاني (أنى)، أمَّا الأول فالمراد منه إظهار قضية جدلهم والعناية بها وتوضيحها مع ذمهم بصفة الجدل وعلاقة الأول بالثاني كون الاستفهام الثاني جاء ليؤكد الأول وليؤكد وليبالغ وليزيد في قضية من صفة الجدل فيهم فجاء مناسبًا في استخدامه للاستفهام بصورة الاقتران الثنائي.

المطلب الثاني : الاقتران الثلاثي للأسلوب الاستفهام.

توطئة:

لم يرد الاقتران الثلاثي لأسلوب الاستفهام في سور الطواسيم في حين ورد مرة واحدة في سور الحواميم، في تعبير قرآني بليغ، يَعْرِضُ فيه القرآن الكريم أنموذجًا للنفس البشرية، تلك النفس التي انطمست منها منافذ النور ومدارك الهدى، حين تعطلت فيها أدوات الإدراك، إذ تركت الأصل الثابت، وتتبعت الهوى المتقلب، لتصل الى هواها[4]، ولتخضع له، وهي النفس الكافرة التي تخضع لأهوائها وتجعل منه مصدر تصوراتها وأحكامها ومشاعرها وتحركاتها، وتتخذ منها إلها قاهرًا مستوليًا عليها، تللك النفس التي جعل الله سبحانه وتعالى على بصرها غطاءً حتى لا تبصر الهدى[5]،وقد سرى هذا الغطاء من القلب إلى العين، إذ أنَّ ما في القلب يظهر على العين؛ لأنَّها مرآته[6]، فيعرض القرآن الكريم هذه الصورة بصيغة الاقتران الثلاثي لأسلوب

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير : 200/24 ، واللباب في علوم القرآن : 81/17 .

(2) ينظر: معاني النحو: 219/4.

(3) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني ، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب: 11/1 ، وينظر: أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرار القرآن الكريم، (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية******** ، اشراف : الشيخ الاستاذ الدكتور محمد عبدالسلام أحمد شرف الدين*****): 347 ، 348 .

(4) ينظر في ظلال القرآن:138/24.

(5) ينظر: صفوة البيان لمعاني القرآن: حسين محمد مخلوف:314/2.

(6) ينظر: صفوة التفاسير:186/3، وسور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية: عبد القادر عبد الله فتحي علوش الحمداني، (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد

الاستفهام وعلى التوالي، على سبيل الاستنكار والتعجيب وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: 23].

فمن أسرار تتابع اقتران أسلوب الاستفهام مع أسلوب الاستفهام أن تفتتح الآية الكريمة بالاستفهام وأن تكون فاصلة الآية الكريمة أيضًا بِذِكر أسلوب الاستفهام الثلاثي بقوله: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾. في الآية الكريمة عرضٌ لفريق من الناس يعجب لأمره ويشهد بغفلته وعناده وإنكاره أمر الأخرة وتشكيكه كل الشك في قضية البعث والحساب وهو يتعنَّت في الانكار، في حين أنَّ القرآن الكريم يوجه هذا الفريق إلى الدلائل القائمة على صدق هذه القضية[1]، ويصور هؤلاء بصورة فريدة من نوعها لفت فيها إلى أربعة أمور اجتمعت فيهم الأولى تجسَّدت في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ والثانية في قوله تعالى: ﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ والثالثة: ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ والرابعة: ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[2] واختلف اهل التأويل في تأويل الآية الكريمة فقال بعضهم :" أفرأيت من اتخذ دينه هواه فلا يهوى شيئاً رَكِبَه؛ لأن لا يؤمن بالله ولا يحرّم ما حرَّم ولا يحلل ما حلل، إنَّما دينه ما هو في نفسه يعمل به" [3]، أي: مطواع لهوى نفسه فيتبع كل ما تدعو وتدنو إليه نفسه[4]، واستخدم القرآن الكريم لفظ (الهوى) للتعبير عن ميل النفس إلى الشهوة أو قيل: لأنَّ صاحبها يهوي في دنياه إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[5]، وجاءت بلفظ المفرد؛ كون المخاطب مفرد في حين نجدها بلفظ الجمع في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ [البقرة: 120]؛ لأنَّ لكل واحد هوى غير هوى الآخر ثُمَّ هوى كلّ واحد لا يتناهى[6]، وأصل الكلام: (هواه

فتحي رمضان،2003م): 139، وتراكيب أبنية الجذور(بصر. رأى. نظر)في القرآن الكريم دراسة دلالية: عزة عدنان أحمد عزت،(رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور: عماد عبد يحيى، 2001م): 151.

(1) ينظر : المفصل في موضوعات سور القرآن : 1/ 1038 ، وخصائص التفسير القرآني وسماته البلاغية: عبدالعظيم إبراهيم محمد المطعني: 297/2 .

(2) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية 298/2 .

(3) جامع البيان في تأويل القرآن: 75/22 ، وتفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي):177/3 .

(4) ينظر: الكشاف: 4/ 291.

(5) ينظر: المفردات في غريب القرآن: 1/ 849 ، و بصائر ذوي التمييز: 5/ 359 ، والجامع لأحكام القرآن: 166/16، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي 208/5 .

(6) ينظر: المفردات في غريب القرآن : 1/ 849 .

إلهه)، إذ قدم المفعول الثاني عناية به[1] فهو من بلاغة التشبيه المقلوب، فضلًا عن أنَّ أسلوب الاستفهام جاء ليعظم هذا الأمر ولتهويله، وفيه ذمٌّ وتوبيخ لإتباع الهوى أيضًا[2] .

إنَّ ضلالةَ هؤلاء الناس ما هي إلا عن قصد وأشار الى ذلك بقوله تعالى: (وأضله الله على علم)، فعبَّر بهذه الآية الكريمة عن معاني هوى النفس الأمارة التي ذكرها النبي (ﷺ) عن أبو العبّاس السَّيَّاريّ عن صَخْرَةَ بن حبيب عن شداد بن اوس (رضي الله عنه) قال : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بَعْدَ الموت والعاجز من أتبع نفسهُ هواها وتمنى على الله عز وجل)[3].

ثُمَّ أنهَّ عبَّر عن عِلم هؤلاء الكفار وجهلِهم المفرط والعمى المستحكم في الإصرار والجحود على ما هم عليه من الكفر والعناد، بمنزلة مَنْ هو أصم وأبكم وأعمى[4] فقال : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ﴾ [الجاثية: 23]، أي: الظلمة أو الغطاء وهذا الغطاء سرى إليها من غطاء القلب، فإنَّ في القلب من الخير والشر يظهر على العين فالعين مرآة القلب تُظْهِرُ ما فيه وأنت إذا بغضت رجلًا بغضًا شديدًا بغضت كلامه ومجالسته، فنجد عند عينيك غشاوة عند رؤية ومخالطته فلذلك أثر البغض والإعراض عنه[5]، فجاء نظم الآية الكريمة بتقديم السمع على القلب القلب بخلاف آية سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾[البقرة:7]؛ لأنَّ المُخْبِر عنهم في آية سورة الجاثية اتخذوا آلهتهم هواهم فعقدوا قلوبهم على الهوى وصرفوا السمع عن تلقي الآيات فقدّم لإفادة أنَّهم كالمختوم على سمعهم، ثُمَّ عطف على (قلبه) تكميلًا، أمَّا ما نجده في سورة البقرة فالعناية بِذَمِّ المُتَصَامِّين عن السماع، فالتقديم والتأخير لغرض شرف الإدراك[6]، فضلًا عن إنَّ النظم القرآني في سورة الجاثية الجاثية كان قد ذكر الأسماء المعطلة؛ ولذلك نجه سبحانه قد قدَّم السمع على الإبصار، أمَّا في سورة البقرة فنجده سبحانه وتعالى قد تحدَّث عن القلوب المريضة فقال:﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن : 3/ 277 ، وينظر: معترك الأقرآن في إعجاز القرآن: عبدالرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي: 1/ 130 .

(2) بصائر ذوي التمييز: 5/ 359 ، وينظر : الجدل في إعراب القرآن: 25/ 253 .

(3) ينظر : المستدرك على الصحيحين للحاكم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدوية النيسابوري: رقم الحديث: (191): 382/4 .

(4) ينظر : الطراز في اسرار البلاغة وعلوم حقاق الاعجاز: يحيى بن حمزة العلوي: 3/ 192 .

(5) ينظر : تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) الجوزية : 475/1 .

(6) ينظر: البرهان في علوم القرآن:254/3، وسور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية: عبد القادر عبد الله فتحي علوش الحمداني،(أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد فتحي رمضان،2003م):361.

ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ [البقرة:10] ؛ ولذلك قدَّم القلوب، فلم يأتِ وَضْعُ الألفاظ إعتباطًا وإنَّما وُضِعَتْ كل لفظة في مكانها المناسب من بلاغة القرآن الكريم(1).

إنَّ هذا الأسلوب أسلوب خبري مجازي يراد منه التحقير المصور لحالهم فيه استخفاف لشأنهم؛ لأنَّهم عطَّلوا إدراك المعرفة والإدراك لديهم، فلم يعد لديهم إلا هذه الحياة المادية في الطعام والشراب، وهي أقرب لصورة الدواب منها إلى صورة الانسان المكرم بخاصيته الإنسانية فهي صورة رسمها القرآن الكريم كنموذج للكافر(2)، هذا أسلوب التحقير ناسب الاستفهام في قوله: (فمن يهديه من بعد الله)، وهو استفهام مجازي جاء بمعنى النفي، أي : لا يهديه، وناسب سياق الآية الكريمة فوضعت هذه الغشاوة للكفار عقوبة من عند الله؛ لإعراضهم ونفورهم عن رسوله (ﷺ) وعمَّا جاء به من الهدى والحق وجعلها وكأنها محاطة بهم كالعمامة(3)، " ولمَّا بيَّن غاية البيان أنَّه الإله وحده بما له من الاحاطة بجميع صفات الكمال، وأنَّه لابد من جمعه الخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم بما له من الحكمة والقدرة، وحَقَّر الهوى ونهى عن اتباعه وكانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبودًا فلزم من ذلك تحقيرهم الإله ولم يرجعوا عن ظلالهم تسببَ من ذلك التعجب مِمَّنْ يظنُّ أنَّه يقدر" (4)، فغاية الاستفهام الثاني (فمَنْ يهديه مِن بَعد الله) تعجب من أمرهم وتحقير لهم مع تعظيم الله، ثُمَّ أكدَ التعجب من أمرهم في الاستفهام الأخير بقوله تعالى : (أفلا يذكرون)، وهو استفهام عن عدم تذكر المخاطبين لهذه الحقيقة(5)، وجاء هذا الاستفهام للإيحاء بأنَّ الإجابة عن الاستفهام الأول هي النفي ب(لا أحد يهديه)، وما كان في ذلك أدنى شَكٌّ لما كان للثاني ضرورة البتَّة، فضلًا عن أنَّ الاستفهام الأخير جاء للحثِّ على تذكر قدرة الله وعظيم نعمته(6).

وسر النظم القرآني يكمن في تتابع اقتران أسلوب الاستفهام مع أسلوب الاستفهام وكذلك في كون فاصلة الآية الكريمة أيضًا بذكر أسلوب الاستفهام والاقتران الثلاثي تجسَّد في (أفرأيت)، (مَن)، (والهمزة المقترنة بلا) (7)، وهي من بلاغة التناسب أنَّ افتتحت الآية الكريمة بأسلوب

---

(1) ينظر: التعبير القرآني: د.فاضل صالح السامرائي: 61.

(2) ينظر : وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم : عبدالسلام أحمد: 1/ 306 .

(3) ينظر : تفسير القرآن الكريم : ابن القيم الجوزية : 1/ 475 ، و الجلالين: 1/ 663 ، وينظر: الكشاف: 4/ 291 .

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي: 63/18 .

(5) ينظر: وسور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية: عبد القادر عبد الله فتحي علوش الحمداني،(أطروحة دكتوراه دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور أحمد فتحي رمضان،2003م):308.

(6) ينظر: أساليب النفي في القرآن: أحمد ماهر البقري:308.

(7) ينظر : الفواتح الالهية والمفاتيح الطيبة الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: 2/ 315 ، و تفسير أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: 8/ 73، وتفسير الجلالين :1/ 663 ، والتحرير والتنوير: 357/25.

الاستفهام وفيه خطاب للنبي وتسلية له متحدثة عن (الشرك) وهو مناسب للحديث عن الهداية في نفس الوقت فعَرض بعدها بقوله: (فمَن يهديه من بعد الله)، وكانه يتدرج في الحديث، ثُمَّ نجد جمالية تعلق المعاني باقتران أول الآية الكريمة بأسلوب الأمر مع خاتمتها بقوله تعالى: (أفلا تذكرون) وهو تعريض للكفار أو بكفار مكة وبيان سوء العافية والمصير والهلاك .

الخاتمة وعرض النتائج

تنوعت الاقترانات لاساليب الطلب الخاصة بالاستفهام في سور الطواسيم والحواميم، ما بين اقتران ثنائي ، واقتران ثلاثي. بلغ عدد الاقترانات للاستفهام اثنا عشر موضعاً، احد عشر منها للاقتران الثنائي، وواحد فقط للاقتران الثلاثي. اما بالنسبة للموضوعات التي جاء فيها الايات القرانية ، فقد تنوعت وكان ابرزها الكشف عن مظاهر التوحيد واثبات ألوهية الله (عز وجل) ، وكانت هذه بمثابة احتجاج ومناقشة ودافع للتأمل واعمال الفكر في قدرة الله عز وجل. ظهرت العديد من الايات القرانية التي تشكل تقابلاً في سلسلة في الاستفهامات التي اغنت عن التصريح بالمفاضلة، وفيها مواجهة للمشركين بأسئلة مستمرة من واقع الكون الذي حولهم ، وتجد ذلك بالاستفهام الانكاري الذي يدل على نفي التسوية بين من يملك الربوبية ومن لا يملك منها شيئاً. اما بالنسبة للاقتران الثلاثي فقد تحقق ذكره في موضع واحد في سورة الجاثية، حيث عرضت هذه الآية نموذجاً للنفس البشرية الكافرة التي تخضع لاهوائها، فكانت غاية الاقتران ابراز هيئة هذه النفس البشرية مع تحقيرها والاستخفاف لشأنها ، والتعجب من امرها .

ثبت المصادر والمراجع

1- _____، معالم التنزيل في تفسير القران تفسير البغوي @@@ .
2- اتحاف فضلاء البشر في القران الأربعة عشر: احمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي شهاب الدين الشهيد، ت117هـ، تحقيق: انس مهدة، دار الكتب العلمية لبنان، ط3، 1427هـ - 2006م.
3- الأزمنة والامكنة : أبو علي احمد بن الحسين المرزوقي الاصفهاني (ت221هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1471هـ .
4- أساليب الاستفهام في البحث البلاغي واسرار القران الكريم بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه ، اشراف : الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالسلام احمد شرف الدين عميد كلية اللغة العربية، اعداد الطالب: محمد إبراهيم محمد شريف (البلخي) 2006 – 2007م .
5- أساليب النفي في القران : احمد ماهر البقري، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1405هـ - 1984م .
6- اصلاح الوجوه والنظائر في القران الكريم : الحسين بن محمد @@@، تحقيق: ....
7- اعجاز القران للباقلاني: أبو بكر الباقلاني...
8- الاعجاز اللغوي والبياني في القران الكريم مع @@@ : علي بن نايف الباحث في القران والسنة .
9- الامثال القرانية القياسية المضروبة للايمان بالله : عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ - 2013م .
10- املاء مأمن به الرحمن في وجوه الاعراب والقراءات في جميع القران أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، تحقيق: إبراهيم عضوة عوض، ط1، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1380هـ - 1961م .
11- الانسجام في النص القراني مظاهرة وجمالية : عبدالله خليف خضير عبيد الحيالي، أطروحة دكتوراه فسلفة في اللغة، باشراف الأستاذ المساعد الدكتور عماد عبد يحيى، 1433هـ .
12- انوار التنزيل واسرار التأويل البيضاوي@@@ ز
13- الايات الكونية (دراسة عقدية رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كلية أصول الدين، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، اعداد : عبد المجيد بن محمد بن الوعلان 1432هـ - 1433هـ .
14- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن احمد بن إبراهيم السمرقندي ت 373هـ .
15- البحر المديد في تفسير القران المجيد .
16- البرهان في علوم القران ...
17- بصائر ذوي التمييز@@@

18- بيان المعاني @@@@ .
19- تأويل مثل القران @@@@
20- التحرير والتنوير@@@@
21- تراكيب ابنية الجذور (بصر، رأى، نظر) في القران الكريم دراسة دلالية عزة عدنان احمد كلية الاداب ، جامعة الموصل، 2001 .
22- التصوير الفني في القران: سيد قطب .
23- التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1987م.
24- تفسير ابي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت982هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت ،@@@ .
25- تفسير الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القران، أبو زيد عبدالرحمن بن معلوف الثعالبي (ت 875هـ) تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ .
26- تفسير الجلالين @@@
27- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القران: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت310هـ) ، تحقيق: احمد محمد عساكر، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1420هـ - 2000م.
28- تفسير القران الكريم (ابن القيم) الجوزية (ت751هـ) ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العلمية الإسلامية، باشراف: الشيخ إبراهيم رمضان، @@@ مكتبة البلاد، بيروت، ط1، 1410هـ .
29- تفسير القرطبي @@@
30- تفسير المراغي: احمد حسين مصطفى المراغي ت 1371هـ، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة الباي الحلبي وأولاده بمصر ، ط1، 1365هـ - 1946م .
31- تفسير النسفي أبو البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفي.
32- تفسير روح البيان : إسماعيل بن مصطفى الاستنبولي الحنفي الحلواني، دار احياء التراث العربي .
33- تفسير غريب القران@@@
34- تيسير الكريم في تفسير الكلام المنان، السعدي عبدالرحمن ناصر (ت1376هـ) تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1420هـ - 2000م .
35- الجدول في اعراب القران الكريم: محمود بن عبدالرحيم صافي (ت 1376هـ)، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة كيمان، بيروت، ط4، 1418هـ .

36- الجدول في اعراب القران الكريم: محمود بن عبدالرحيم صافي (ت1376هـ) دار الرشيد دمشق مؤسسة ايمان بيروت، ط4، 1418هـ .
37- جواهر الاحسان في تفسير القران، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (875هـ) تحقيق: محمد علي معوض والشيخ عادل احمد بن عبدالموجود، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ .
38- خصائص التراكيب دراسة تحليلة لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط7.
39- خصائص التعبير القراني وسماته البلاغية ..
40- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين احمد بن يوسف بن عبدالدايم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ) تحقيق: د. احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق .
41- درة التنزيل وعزة التنزيل في تبيان الايات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الاسكاني @@@ ابي الفرج الاردستاني ط1، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1339هـ ، 1973م.
42- درر التنزيل ووغرة التأويل : أبو عبدالله محمد بن عبدالله ....
43- روح المعاني @@@@
44- زهرة التفاسير: محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد المعروف بأبي زهرة (ت 1394هـ) ، دار الفكر العربي.
45- سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية : عبدالقادر فتحي علوش الحمداني، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2003 .
46- سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية عبدالقادر ....
47- سورة المؤمن، دراسة تحليلية لغوية، فيصل مرعي حسن الحريثي، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية جامعة الموصل، 2001م .
48- سيكولوجية القصة في القران : د. التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع، 1971م.
49- صفوة البيان لمعاني القران : حسين محمد مخلوف، ط1، دار الكتاب العربي، مصر، 1375هـ - 1956م .
50- الطراز في اسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله ت 745هـ المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ .
51- علوم القران الكريم : نور الدين عنتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، ط1، 1414هـ - 1993م .
52- فتح البيان في مقاصد القران.
53- فتح القدير ... الشوكاني ...

54- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية .
55- في ظلال القران: سيد قطب ...
56- القران العظيم المنسوب للامام الطبري ...
57- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري (ت538هـ) ، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ .
58- الكشف والبيان في تفسير القران احمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي أبو إسحاق (ت 427هـ) ، تحقيق الامام ابي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2002م .
59- الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الثوري مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1419هـ – 1998م ، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري .
60- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ) تحقيق: عادل احمد عبدالموجود والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1419هـ – 1998م .
61- لمسات بيانية : فاضل صالح السامرائي: اعده للشاملة الأخ : أبو عبد المعز عضو في ملتقى اهل الحديث ملاحظة : الملف كتاب الكتروني ولا يوجد مطبوعاً .
62- مجاز القران أبو عبيدة@@@@ .
63- المجتبى في فضل عراب القران الكريم : ا. د. احمد بن محمد الخراط .
64- مجمع البيان في تفسير القران: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري، دار اجحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1379هـ – 1999م .
65- المستدرك على الصحيحين للحاكم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن هادي الوادي الحرمين، القاهرة، مصر 1417هـ – 1997م .
66- معاني القران: أبو زكريا بن زياد بن عبدالقادر بن منظور الفراء (ت207هـ) تحقيق: احمد يوسف اليماني، محمد علي النجار، عبدالفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1 .
67- معاني النحو @@@@
68- معترك الاقران في اعجاز القران أبو الفضل ...
69- معتزل الاقران في اعجاز القران عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي : ت911هـ ، 1988م .
70- مفاتيح الغيب : التفسير الكبير: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الدين ت 606هـ ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ .
71- المفردات في غريب القران. ...

72- المفصل في موضوعات سور القران @@@ .
73- المفصل في موضوعات سور القران جمع واعداد: علي بن نايف @@ الباحث في القران والسنة . اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ) : تحقيق: الشيخ عادل احمد بن عبدالموجود .
74- من بلاغة القران الكريم: احمد احمد عبدالله @@@ البدوي (ت1384هـ) نهضة مصر، القاهرة، 2005 .
75- من روائع القران تأملات علمية وادبية في كتاب الله عز وجل : محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، عام النشر: 1420هـ - 1999م .
76- من روائع القران، تأملات علمية وادبية في كتاب الله عز وجل : محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1420هـ - 1999م .
77- منهج القران الكريم في دعوة المشركين الى الإسلام : د. حمود بن احمد بن فرج الرحبلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدنية المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1424هـ - 2004م.
78- منهج القران في عرض الظواهر الكونية @@@
79- نظم الدرر في تناسب الايات والسور .....
80- وظيفة الصورة الفنية في القران : عبدالسلام احمد راغب الناشر: فصلت دراسة والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422هـ - 2001م.